اسرائيل وسياسة الانفراج الدولي

(قراءة تاريخية)

عمر سعادة

ما كادت نار الحرب العالمية الثانية تنطفىء بهزيمة دول المحور، حتى بدأت بوادر حرب مدمّرة، تنشر ظلالها السوداء فوق العالم كله، وخاصة فوق تلك الدول التي خرجت، بالأمس القريب، من الحرب، مثخنة بالجراح. لقد غادر حلفاء الأمس خندقهم المشترك، في مواجهة المانيا النازية وحلفائها، ليصطفوا في خندقين متقابلين ومتناحرين، حيث أدّى تناقض المصالح والايديولوجيات الى تبلور المعسكرين، الرأسمالي والاشتراكي، والى زيادة حدّة الصراع فيما بينهما، والى انتظام كل معسكر منهما ضمن حلف عسكري ـ اقتصادي ـ فكري مناقض للآخر.

خرجت الولايات المتحدة من الحرب العالمية الثانية دون ان تصاب بأضرار تذكر؛ وكانت، فوق ذلك، الدولة الوحيدة في العالم التي تحتكر السلاح الذري. وقد شجّعها ذلك على محاولة استغلال مستجدات ما بعد الحرب، لتوطيد مكانتها وسيطرتها على الصعيد العالمي، وخاصة في مواجهة الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية. وكانت نقطة البدء، في هذه السياسة، هي اعلان «مبدأ ترومان»، الذي أباح للولايات المتحدة التدخّل في شؤون الدول الأخرى، بدعوى حمايتها من التهديد السوفياتي. تلا ذلك اعلان «مشروع مارشال» لدعم دول غرب أوروبا الرأسمالية، واستخدامها كجزء من المخطط الأميركي ضد البلدان الاشتراكية. ثمّ الاعلان عن قيام حلف الأطلسي العام ١٩٤٩. وأنشىء بعد ذلك حلف «السنتو» في جنوب شرق آسيا، و«حلف بغداد» في الشرق الاوسط، للغرض ذاته. لقد أدخلت الولايات المتحدة، في تلك الفترة، مصطلحات جديدة الى قاموس السياسة الدولية، مثل «الدبلوماسية الذرية» و«سياسة شفير الهاوية» و«العقاب المكثّف»، وغيرها من المصطلحات التي كان يردّدها، بزهو، وزير الخارجية الاميركية آنذاك، جون فوستر دالاس، مثيراً حالة من الرعب، ليس لدى الشعوب الاشتراكية فحسب، بل لدى شعوب الأرض قاطبة.

وفي المقابل، سرعان ما كسر الاتحاد السوفياتي احتكار الولايات المتحدة للسلاح الذري، عندما أجرى أول تفجير ذري له في أيلول (سبتمبر) ١٩٤٩، ثمّ خطا، بعد ذلك، باتجاه تشكيل حلف عسكري مع الدول الاوروبية الاشتراكية في مواجهة حلف الأطلسي، حيث أعلن في حزيران (يونيو) ١٩٥٥ عن ولادة حلف وارسو.

وبالنتيجة، فقد انقسم العالم الى معسكرين رئيسين، وبدأ الفتور والتوتّر في علاقاتهما يتخذ أشكالاً ومضامين خطرة، ليس على دول المعسكرين فحسب، بل على البشرية جمعاء. فامتلاك